بسم الله الرحمن الرحيم

# منهج السلف الصالح أسلم وأعلم وأحكم (؟!)..

لا يشك من شم رائحة العلم، ونظر في نصوص القرآن والسنة، وعلم حقيقة منهج الصحابة - رضي الله عنهم - ومن تبعهم بإحسان أن "مذهب السلف هو المذهب المنصور والحق الثابت المأثور، وأهله هم الفرقة الناجية، والطائفة المرحومة التي بكل خير فائزة، ولكل مكرمة راجية" لوامع الأنوار 20 مختصره.
والسلف في اللغة يقال: "سلف الإنسان من تقدمه بالموت من آبائه وذوي قرابته، ولهذا سمي الصدر الأول من التابعين (السلف الصالح)" النهاية 390/2 .
أما في الاصطلاح:فقد تباينت (1) أقوال أهل العلم في ذلك على عدة أقوال أظهرها: أن السلف هم الصحابة والتابعون وتابعوا التابعين. انظر درء التعارض 134/7، ولوامع الأنوار 20/1، والتحف في مذاهب السلف 7-8.

قال الموساوي - رحمه الله : -
ثلاثة من القرون سلف **** وخامس بلا خلاف خلف
ورابع القرون فيه اختلفا****هل سلف أو خلف من سلفا

مع أن لفظة السلف قد تطلق في (سياقات خاصة)، أو (لاعتبارات معينة)

على الصحابة - رضي الله عنهم – فقط، أو عليهم وعلى من جاء بعدهم فحسب..

كما ننبه على أن (السبق الزمني) وحده غير كاف لتحديد مفهوم (منهج السلف) حتى ينضاف إلى ذلك موافقة الكتاب والسنة وما كان عليه الصحابة الكرام، وأعيان التابعين لهم بإحسان، ومن تبعهم من أئمة الدين ممن تلقى الناس كلامه (دون من رمي ببدعة أو اشتهر بلقب غير مرضي)؟!. انظر لوامع الأنوار 20/1.

وعليه فإن (منهج السلف الصالح) هو المنهج القويم، والطريق الواضح المبين الذي يوافق (النقل الصحيح) و(العقل الصريح ).

قال شيخ الإسلام - رحمه الله -:" واعلم أنه ليس في العقل الصريح ولا في شيء من النقل الصحيح ما يوجب مخالفة (الطريقة السلفية) أصلا " الفتاوي 28/5.

وعليه يرفض المرء عن رضا وقناعة ما هو مسطور في كتب بعض المتأخرين من أن مذهب السلف أسلم، ومذهب الخلف أحكم وأعلم(؟!!)، وهي مقولة (مجانبة للصواب)، وقائلها إما أنه تشبع بما لم يعط، أو أنه جاهل بما عليه السلف الصالح من أدلة تورث الطمأنينة واليقين، ولذلك تُخرج أصحابها إلى الجهل والتناقض والضلال المبين..

قال شيخ الإسلام - رحمه الله -:" فكل من أعرض عن الطريقة السلفية النبوية الشرعية الإلهية فإنه لابد أن يضل ويتناقض ويبقى في الجهل المركب أو البسيط " درء التعارض 370/3 .

وقال كذلك - رحمه الله -:" ولا يجوز أيضا أن يكون الخالفون أعلم من السالفين كما قد يقوله بعض الأغبياء ممن لم يقدر قدر السلف، بل ولا عرف الله ورسوله والمؤمنين به حقيقة المعرفة المأمور بها" الفتاوي 8/5.

وقال الشوكاني - رحمه الله -: "فهم (أي: أهل الكلام) متفقون فيما بينهم على أن طريق السلف أسلم، ولكن زعموا أن طريق الخلف أعلم، فكان غاية ما ظفروا به من هذه الأعلمية لطريق الخلف أن تمنى محققوهم وأذكياؤهم في آخر أمرهم دين العجائز.. فإن هذا ينادي بأعلى صوت، ويدل بأوضح دلالة على أن هذه الأعلمية التي طلبوها: (الجهل خير منها بكثير)؟!، فما ظنك بعلم يقر صاحبه على نفسه: أن الجهل خير منه، وينتهي عند البلوغ إلى غايته، والوصول إلى نهايته أن يكون جاهلا به عاطلا عنه، ففي هذا عبرة للمعتبرين وآية بينة للناظرين" التحف في مذاهب السلف 3-4 .

وقال العلامة ابن الوزير اليماني - رحمه الله -:" فالفريقان المشبهة والمعطلة إنما أتوا من تعاطي علم ما لا يعلمون، ولو أنهم سلكوا مسالك السلف في الايمان بما ورد من غير تشبيه لسلموا، فقد أجمعوا على أن طريقة السلف أسلم ، ولكنهم ادعوا أن طريقة الخلف أعلم(!!)، فطلبوا العلم من غير مظانه، بل طلبوا علم ما لا يعلم فتعارضت أنظارهم العقلية، وعارض بعضهم بعضا في الأدلة السمعية، فالمشبهة ينسبون خصومهم إلى رد آيات الصفات، ويدعون فيها ما ليس من التشبيه، والمعطلة ينسبون خصومهم وسائر أئمة الإسلام جميعا إلى التشبيه، ويدعون في تفسيره ما لا تقوم عليه حجة والكل حرموا طريق الجمع بين الآيات والآثار، والاقتداء بالسلف الأخيار، والاقتصار على جليات الأبصار وصحاح الآثار" إيثار الحق على الخلق ص: 93.

قال عمر بن عبد العزيز - رحمه الله -: "إن السابقين عن علم وقفوا وببصر نافذ كفوا" فضل علم السلف على الخلف ص: 91.

فكيف بعد هذا يوصف علم السلف بالسلامة فحسب(؟!) وهو قائم على (الحجة واليقين)، ويوصف مسلك الخلف بالإحكام والأعلمية(؟!) وهو قائم على (الظن والتخمين)، فإن طريق هؤلاء المتأخرين (مظنون باتفاق) فلا أحد

منهم يقطع بالمعنى الذي صرفوا اللفظ إليه..

قال الحافظ في الفتح 352/13 نقلا عن غيره:".. وليس من سلك طريق الخلف واثقا بأن الذي يتأوله هو المراد ولا يمكنه القطع بصحة تأويله" وانظر الملل والنحل للشهرستاني 101/1 .

ثم كيف نباين بين (السلامة) و(الأعلمية والإحكام)؟!، فإنه لا سبيل للسلامة إلا بالأمر القائم على (كمال العلم) و(تمام الإحكام) فتأمل .

قال السفاريني - رحمه الله -: "إنه من المحال أن يكون الخالفون أعلم من السالفين كما يقوله بعض من لا تحقيق لديه -ممن لا يقدر قدر السلف، ولا عرف الله تعالى ولا رسوله ولا المؤمنين به حق المعرفة المأمور بها- من أن طريق السلف أسلم، وطريقة الخلف أعلم وأحكم .

وهؤلاء إنما أوتوا من حيث ظنوا أن طريق السلف هي مجرد الايمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقه ذلك بمنزلة الأميين، وأن طريقة الخلف هي استخراج النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللغات فهذا الظن الفاسد أوجب تلك المقالة التي مضمونها نبذ الإسلام وراء الظهور، وقد كذبوا وأفكوا على طريقة السلف، وضلوا في تصويب طريقة الخلف فجمعوا بين باطلين: (الجهل بطريقة السلف في الكذب عليهم)!!، و(الجهل والضلال بتصويب طريقة غيرهم)!!" لوامع الأنوار 25/1.

وقد اغتر وفُتن كثير من الناس بما عليه الخلف فوصفوا طريقتهم بالأعلمية والإحكام لكثرة كلامهم وجدالهم في مسائل الدين فظنوا أن من كان كذلك فهو أعلم وأحكم ممن ليس كذلك، وهذا (جهل محض)..

فليس العلم بكثرة الرواية، ولا بكثرة المقال، ولكنه نور يقذف في القلب (2)، يفهم به العبد الحذِق، ويميز به بينه وبين " الباطل ويعبر عن ذلك بعبارات وجيزة محصلة للمقاصد" فضل علم السلف على الخلف ص: 94.

قال الحافظ ابن رجب - رحمه الله -: "وقد ابتلينا بجهلة من الناس يعتقدون في بعض من توسع في القول من المتأخرين أنه أعلم ممن تقدم، فمنهم من يظن في شخص أنه أعلم من كل من تقدم من الصحابة ومن بعدهم لكثرة بيانه ومقاله، ومنهم من يقول هو أعلم من الفقهاء المشهورين المتبوعين، وهذا يلزم منه ما قبله لأن هؤلاء الفقهاء المشهورين المتبوعين أكثر قولا ممن كان قبلهم، فإذا كان من بعدهم أعلم منه لاتساع قوله كان أعلم ممن كان أقل منهم قولا بطريق الأولى.. وهذا تنقص عظيم بالسلف الصالح وإساءة ظن بهم، ونسبته لهم إلى الجهل وقصور العلم ولا حول ولا قوة إلا بالله، ولقد صدق ابن مسعود في قوله في الصحابة: (إنهم أبر الأمة قلوبا وأعمقها علوما، وأقلها تكلفا)،... وفي هذا إشارة إلى أن من بعدهم أقل علوما وأكثر تكلفا" فضل علم الصلف على الخلف 97-98..

وقال العلامة حمد بن ناصر بن عثمان آل معمر - رحمه الله - في معرض كلامه عن بعض أرباب التأويل من المتأخرين :" .. وأعجب من هذا أنهم يذكرون في مصنفاتهم أن عقيدة السلف أسلم وعقيدة الخلف أعلم وأحكم فسبحان مقلب القلوب كيف يشاء، كيف يجتمع في قلب من له عقل ومعرفة أن الصحابة أبر هذه الأمة قلوبا، وأعمقها علما، وأنهم الذين شاهدوا التنزيل، وعلموا التأويل وأنهم أهل اللغة الفصحاء واللسان العربي الذين نزل القرآن بلغتهم، وأنهم الراسخون في العلم حقا، وأنهم متفقون على عقيدة واحدة لم يختلف في ذلك اثنان ثم التابعون بعدهم سلكوا سبيلهم واتبعوا طريقهم ثم الأئمة الأربعة وغيرهم مثل الأوزاعي والسفيانين وابن المبارك وإسحاق وغيرهم من أئمة الدين الذين رفع الله قدرهم بين العالمين، وجعل لهم لسان صدق في الآخرين كل هؤلاء على عقيدة واحدة مجمعون ولكتاب ربهم وسنة نبيهم متبعون، ثم بعد معرفته لهذا وإقراره يقوم في قلبه أن عقيدة الخلف أعلم وأحكم من طريقة السلف،

فسبحان من يحول بين المرء وقلبه فيهدي من يشاء بفضله ويضل من يشاء بعدله.." التحفة المدنية في العقيدة السلفية ص: 126 .
فمنهج السلف الصالح - ورب الكعبة -: (أسلم وأعلم وأحكم)..

.................................................................................

.(1)والتحقيق في هذا التباين أنه (لفظي صوري) فتأمل.
. (2)قال الإمام الذهبي – رحمه الله - :" العلم ليس هو بكثرة الرواية، ولكنه نور يقذفه الله في القلب، وشرطه : (الاتباع والفرار من الهوى والابتداع)؟! " سير أعلام النبلاء 323/13.

كتبه:
أبو أويس رشيد بن أحمد الإدريسي الحسني
عامله الله بلطفه الخفي وكرمه الوفي